

منهج ابي عبد الله بن محمد بن علي القلعي (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) في كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة

م. د. سعاد مقداد ناجي الاسدي

الجامعة العراقية/ كلية الآداب

mupdad@gmail.comsand

الملخص

انجبت الأمة علماء عاملون لخدمة العلم والمجتمع كتبوا في كل فن واستغلوا امكانياتهم للإسهام في توجيه الحياة نحو الافضل خاصة في موضوع حساس وحيوي يخص الأمة بأجمعها ألا وهو معالجة الحياة السياسية الاسلامية وتوجيه كلامهم إلى الامراء والسلاطين والحكام ليكون دليلاً ومرشداً في كل الأمور الدينية والدنيوية، فدعوا إلى أن يتصفوا بالصفات الحميدة الفاضلة أما عامة الشعب فدعوا إلى السمع والطاعة للحاكم العادل، وخرجوا عن الخلافات المذهبية والفقهية ليتخذوا طريقاً حسن في منهجيتهم في كتب السياسة حتى لا يقع راعي الأمة في حيرة ولا يتشتت الذهن، وهكذا كان القلعي انموذجاً للعالم الذي خدم الأمة بدراسة جسدها بفصول كتاب حمل في طياته الكثير من الفائدة لراعي الأمة ورعيته .

الكلمات المفتاحية: منهج، كتاب التهذيب، الرياسة، العقيلي، أبي عبد الله بن محمد بن علي القلعي

Summary

The nation gave birth to scientists working in the service of science and society wrote in every art and exploited their potential to contribute to directing life for the better, especially in the sensitive and vital issue of the whole nation, namely the treatment of Islamic political life and address their words to the princes, sultans and rulers silently guide and guide in all religious and religious matters. To be characterized by virtuous virtues either the general public called for hearing and obedience to the just ruler, and went out of the doctrinal and jurisprudential differences to take a good course in their methodology in political books so that the patron of the nation is not confused and distracted mind, and so of the Kalai was a model A scientist who served the nation by studying her body with chapters of a book that carried a lot of benefit to the patron and patronage of the nation has established clear scientific constants that differ in easy intakes and clear arrangement of topics and scientific documentation and selection of repetition in ideas.

Keywords:

AlAqi l, leadership, curriculum

:

المقدمة:

كان القلعي فقيهاً متطلعاً كبيراً له العديد من المؤلفات التي توجد في ظفار وحضرموت ونواحيهما، وعنه انتشر الفقه بتلك الجهة، كان من أكابر العلماء، بحث ودقق وحقق وعاش متنقلاً بين ظفار ومرباط، لم تسعنا المصادر بالكثير من المعلومات الدقيقة بما يخص حياته ونشأته وتفاصيل عن حياته ما خلا بعض المقتطفات المتناثرة في بطون الكتب.

نشر العلم والفقه وبدأ بالتدريس لسنوات طويلة، وقد تناولت الدراسة أحد مؤلفات القلعي المهمة ألا وهو كتابه (تهذيب الرياسة وترتيب السياسة) وهو من الكتب المهمة عن مبادئ السياسة وحرفة الدولة، إذ يبحث الكتاب في دور الملك ومعنى العدل ومواضيع أخرى عن القيادة والعلاقة بين الملك ووزرائه وموقفه من أتباعه، وتكمن أهمية كونه موجهاً إلى الحكام والسلطين والوزراء ليكون لهم دليلاً ومرشداً لما يقوم به من أمور دنيوية ودينية ويذكر الكتاب من هم قرييون من أولئك الحكام والوزراء، فدعاهم أن يتحلوا بالأخلاق الحميدة الفاضلة، فضلاً عن كونه موجه إلى عامة الشعب في دعوتهم إلى الطاعة إلى الملك واحترام أولي الأمر واتباع توجيهاتهم وأوامرهم لما فيه صلاح وخير الرعية والمجتمع، فضلاً عن احتواء الكتاب عن الكثير من القصص والأخبار التي تخص الولاة والخلفاء والسلطين على سياسة إمارتهم على بصيرة من خلال تجارب الأولين في هذا المضمار.

اسمه وكنيته:

محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي علي القلعي وقيل بفتح القاف وسكون اللام وتعود تسمية القلعي نسبة إلى قلعة حلب (القلقشندي، دون تاريخ، ج ٤/١٧٤)، وهي من مدن الشام المعروفة، وقيل بفتحها (القلعي) نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤).

عائلته:

لم تذكر وتشير المصادر التاريخية بمعلومة واضحة أو بسيطة عن عائلة وابناء القلعي قد يكون السبب في ذلك هو ترحاله وسفره الدائم وخاصة بعد ان استقر في حضر موت واكمه الملك والناس، وسنأتي بذكر هذه التفاصيل، وان المصادر لم تذكر شيء حتى بعد استقراره في عمله في حضر موت عن ابناؤه او عائلته بصورة عامة واين كانت عائلته في ذلك الوقت (ابن وهاس، ١٩٨٣، ٥٦/١-٥٧)، لم نصل إلى معلومات عن هذا الموضوع.

مكانته العلمية

كان القلعي فقيهاً متظلاً كبيراً (القلقشندي، دون تاريخ، ج ٤/١٧٤)، وله العديد من المؤلفات والتي توجد في ظفار وحضر موت ونواحيهما، وعنه انتشر الفقه بتلك الجهة يقول الجندي: ((واخبرني شيخ قديم من اهل تلك الناحية واهل الفقه بها قال سمعت قدماء بلادنا يذكر ان هذا الفقيه قدم عليها من الحج إلى مرباط^(*) (في مركب)) (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤).

وتشير المصادر لنا وصول القلعي إلى مرباط وخاصة ان هذا البلد كان فيه قاض دون دين، وفقه قليل والوارد في تلك الناحية قليل، ويذكر ان الفقه والعلم فيه كان قليلاً، وعندما بلغ القاضي وصول القلعي إلى مرباط وذكر عنه انه رجل من اكابر العلماء فبحث وتحقق عن ذلك

وحين ثبت عندهُ فقهه وعلمه خرج بجماعة من البلد وتجارها، وكان قد ضرب للقلعي خيمة بالقرب من البحر فنزل لتسريح بها من ضنك المركب، فقصدهُ القاضي والتجار واكابر التجار واستأذنوا حين صاروا ببابه فدخلوا عليه فرحب بهم وأنسهم (الحموي، ٢٠٠٢، ٢٨١/٦).

ترك القلعي اثراً علمياً واجتماعياً في مرباط بصورة خاصة وحضرموت بصورة عامة فضلاً عن الأثر الاجتماعي في حب الناس وتعلقهم به، فتشير المصادر ان قاضي مدينة مرباط سألته عدة مسائل واجابه عنها بعبارات مرضية بإبين جواب واقرب صواب، مما اثار اعجاب القاضي ومن معه بعلمه وحسن خلقه (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤-٤٦٥).

وظن القلعي انهم لازموه على سبيل التجميل وطلب منهم ان يقف معهم بشرط ان لا يتركوه يحتاج إلى شيء، وعندما عادوا إلى بلادهم ووصلوا إلى سلطانها واخبروه عن قدوم الفقيه وعنه وانهم، مضطرون إلى مثله لأنه عالم كبير ويتفقهون عليه وينتفع به الناس (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤-٤٦٥).

عندما علم الملك بذلك سألهم ما الغرض، فأخبروه ان يخرج اليه بنفسه ويلازمه بالوقوف لعله يقبل منك فخرج الملك بموكبه واستجاب لهم حتى وصل إلى خيمة الفقيه وسلم عليه وطلب منه بالوقوف معه وشرط له على ذلك ان يفعل له ما احب، استقبل الفقيه كل ما قدموه إليه برحابة صدر ووافق بالبقاء معهم فنقلت اغراضه من المركب إلى البلد وخصصوا له دار لائق به، وإقبل بعد ذلك على نشر العلم والتدريس (كحالة، دون تاريخ، ج ٣١٧/١٠).

الأثر العلمي للقلعي في حضر موت:

ترك القلعي اثراً كبيراً وواضحاً في حضر موت بنشر العلم والتدريس، فسمع الناس به وبدأوا بالمجيء اليه إلى حضر موت ونواحيها، فقصده واخلدوا عنه العلم والفقه، وابتنى الفقيه بيتاً بظفار^(*) وعاش يتنقل بين مرباط وبينها، ولم ينتشر العلم عن أحد بهذا المكان وانتشر عن القلعي واصبح أعيان فقهاء أصحابه ودرس على يديه الكثير (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤-٤٦٥)، سندر ذكرهم لاحقاً.

مؤلفاته:

للقلعي مؤلفات كثيرة انتفع بها الناس وهي:

احكام المختصر، قواعد المذهب، مستعرب الفاظه، ايضاح الغوامض في علم الفرائض وهو في مجلدين جيدين وقد اورد فيه طرفاً من المقابلة والجبر والوصايا وقد جمع به بين المذهب الشافعي وغيره (الجندي، ١٩٩٥، ج ١/٤٥٤).

وله كتاب كنز الحفاظ في غريب الالفاظ، لطائف الانوار في فصل الصحابة الاخيار، واحترار المذهب الذي شهد له اعيان الفقهاء انه لم يصنف في الاحترار له نظير، واحكام القضاة

مختصر (ابن وهاس، ١٩٨٣، ٥٦/١-٥٧)، وتذكر لنا المصادر ان له الكثير من المؤلفات وكل ما ذكرناه مفتور ولم يصلنا منه شيء ما خلا كتاب تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة الذي يعد من الكتب المؤلفة (ابن وهاس، ١٩٨٣، ٥٦/١-٥٧).

شيوخه وتلاميذه:

لم ترد لنا المصادر الكثير من المعلومات الخاصة بالقلعي خاصة ما يتعلق بحياته الشخصية واغلب المعلومات التي ذكرت هذا الجانب للمؤرخ الجندي في كتابه السلوك، على الرغم من الأهمية الكبيرة له ومكانته الكبيرة وظهوره في مكان لم يكن فيه الكثير من العلماء والفقهاء إذ لاقى ترحيب كبير من السلطان والقاضي ونشر العلم وقام بتدريس وكل المعلومات التي وصلت إلينا ما يخص تلاميذه فقط لم يرد لنا شيء عن شيوخه لأن بصورة عامة حياته قبل استقراره في مرباط لا تتوفر لدينا اي معلومات عنها اما تلاميذه:

١. محمد بن احمد بن يحيى بن صمع (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) وهو فقيه مشهوراً له بالفضل والعلم تتلمذ على يد القلعي وعمل بالتدريس، وقد تولى التدريس بعد وفاة القلعي (الجندي، ١٩٩٥، ج١/٤٥٤-٤٦٠)، تفقه على يديه الكثير ومنهم الفقيه ابو عبد الله محمد البستي (*).

٢. ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم العطار كان يكنى بأبي الفتح المكي وهو مفتي وفقه في مكة المكرمة، سمع صحيح البخاري من ابي الحسن بن علي بن حميد الاطرابلسي وحدث عنه وعن ابي محمد بن الطباخ، واخذ ايضاً من الفقيه القلعي بمكة (الجندي، ١٩٩٥، ج١/٤٥٥-٤٦٠)، وهنا استطعنا ان نعرف ان القلعي قد درس في مكة المكرمة وتتلمذ على يديه علماء نبغوا في الفقه مثل ابي الفتح ناصر عبد الله الذي تفقه على يديه ابو نزار ربيعة بن الحسن (*).

٣. علي بن احمد بن سالم بن محمد بن علي المكنى بأبي مروان وهو من بيت ابي علوي المشهود له بالورع والتقوى والفقه، وعدد كثير من هذا البيت اسهموا في الحياة الاسلامية اسهاماً كبيراً في زمنهم واشتهروا بالفقه والورع، وكان ممن تتلمذوا على يد الفقيه القلعي، وكان مباركاً خيراً بالتدريس، انتشر عنه العلم بحضر موت انتشاراً كبيراً، اخذ منه الكثير من العلماء الفقه والعلم وبدورهم كان لهم الاثر في نشرها بمناطق شاسعة (الجندي، ١٩٩٥، ج١/٤٦٣).

٤. ابو الخير بن منصور بن ابي الخثر الشماخي السعدي، وهو نزيل زبيد نسبة الحضرومي، وهو حافظ وفقه، ادرك جماعة من الاكابر في مكة واخذ عنهم، اخذ عن القلعي العلم والفقه، وتطلع على علوم كثيرة منه اللغة والفقه واللغة والحديث والتفسير والفرائض ولم يكن له في اخذ عمره نظير في ضبط الكتب وجودة العلم توفي عام (٦٨٠هـ / ١٢٨١م) (ابن وهاس، ١٩٨٣، ١/١٩٠).

بلغت شيوخه خمسمائة أو ازيد روى عن المكيين كان فاضلاً في صناعة الحديث والفقه وكان رحلته لتلك البلاد ومفيدها بالخير، توفي في ربيع الاول من عام (١٣٣٨هـ / ١٣٣٨م) (ابن كثير، ٢٠٠٣، ١٨/٣١٤).

وفاته:

عمر العالم والفقيه القلعي طويلاً، وكانت وفاته نحو عام (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) بمرباط ودفن بمقبرتها، تذكر المصادر ان قبره كان إلى جانب قبر تاجر ابافير بخفض الالف وسكون الياء المثناة من تحت ثم راء، والتاجر كان من اهل الدين والدنيا ويقوم بالعناية وكفاية طلبه العلم الذين يصلون على الفقيه، وقليل ما كان يدخل المدينة إلى مرباط احداً الا وكان يتفضل عليه فقد كان له داراً على باب البلد، فلا يدخلها داخل في الغالب الا وتكرم عليه بما يليق بحاله، فكان معروف عنه بالفضل والخير (ابن القاضي شهبة، ١٩٨٦، ٢/٣٩).

كان قبر التاجر إلى جانب قبر الفقيه وليس بينهما سوى اذرع قليلة، ويقال انه هناك فأرة تخرج من احد القبرين وتدخل في قبر الآخر يفوح عند خروجها رائحة المسك، وكان يتبرك بتربتهما الواصلون هناك (كحالة، دون تاريخ، ١/٣١٧)، ويقصدونهما للزيارة فيما بعد وكان من القبور المشهورة التي يقصدها طلبة العلم والناس بمرباط (السبي، ١٩٩٢، ٦/١٥٥).

منهج القلعي في الكتابة التاريخية:

أ. منهجه في الكتابة عن الوزارة

تعد دراسة القلعي في كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة دراسة نادرة عن مبادئ السياسة وحرفة الدولة، إذ يبحث الكتاب في دور الملك ومعنى العدل وفي مواضيع القيادة وفي العلاقة بين الملك ووزرائه وموقفه من اتباعه.

وتكمن اهمية الكتاب في انه موجهاً إلى الحكام والسلاطين والامراء ليكون لهم دليلاً ومرشداً فيما يقوم به من أمور دينوية ودينية، ويخص الكتاب ذكر الذين هم قريبون من اولئك الحكام والوزراء فهو موجه إليهم فدعاهم إلى أن يتحلوا بالصفات الفاضلة والحميدة، فضلاً عن انه موجه إلى عامة الشعب في دعوتهم إلى الطاعة.

كتب القلعي في كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، وقد حوى هذا الكتاب على الكثير من الاخبار والقصص التي تخص الخلفاء والولاة والسلاطين على سياسة اماراتهم على بصيرة من خلال تجارب الاولين في هذا المضمار وقد قسم القلعي الكتاب على قسمين، القسم الاول منه يشمل على انواع ابواب تحتوي على غرر من درر العظماء وكلام الحكماء ما ينسبك في قالب الامثال الشاردة وينتظم في سلك الحكم الواردة (القلعي، ١٩٨٥، ٧٢).

اما القسم الثاني من الكتاب فيتمثل حكايات من الخلفاء ووزرائهم وامرائهم وعمالهم، مما يدل على غزارة فضلهم ونبلهم، وكمال مرؤتهم، وحسن سيرتهم، وما اشتملت عليه طرائقهم (القلعي، ١٩٨٥، ٧٢)، تحدث القلعي عن الوزراء والوزارة واورد الامثال والحكم التي تقال للحكام في هذا الشأن، وبعض اهم الاشعار التي قيلت في حق الوزراء والوزارة (القلعي، ١٩٨٥، ٧٢).

لم يكن القلعي الاول في الكتاب عن الوزراء والوزارة وشؤونها على الرغم من اهمية ما كتب، فنتيجة لظهور منصب الوزراء في الخلافة العباسية منذ اليوم الاول لوجودها، فقد وضع المؤرخين المؤلفات الكثيرة التي أعتنت بهذه القضية سواء من ناحية الآداب العامة او من ناحية الضوابط الفقهية التي لابد ان تتجلى فيمن نال الوزارة، فنجد ان ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) من أوائل من كتبوا في هذا الامر فيقول: ((لا يستطيع السلطان الا بالوزراء والاعوان، ولا ينفع الوزراء الا بالمودة والنصيحة، ولا مودة الا مع الرأي والعفاف)) (أبي محمد عبد الله، دون تاريخ، ٢٦).

ونجد ان ابن ابي الربيع^(*) يقول في هذا المجال اعلم انه لأبد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الامور، يكشف لنا صواب التدبير، ومعين على حوادث الدهور، وان النبي محمد (ﷺ) مع ما خصه الله سبحانه وتعالى من الاكرام، ووعده بإظهار الدين، وآتاه من الآيات العظام، وايده بالملائكة المقربين، وهو مع ذلك مؤيد للرشاد وموفق للصواب، اتخذ الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وزيراً فقال: ((انت مني بمنزلة هارون من موسى))، وقال تعالى: ﴿ ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيراً ﴾ (سورة الفرقان، الآية ٥٣) ، فلو استغنى احد عن المؤازرة والمعاضدة بتدبيره ورأيه، لاستغنا النبي محمد (ﷺ) والنبي موسى (عليه السلام)، فالوزير هو الشريك في الملك، المدبر بالقول والفعل، والمدبر فيه بحفظ اركانه (ابن أبي الربيع، ١٩٩٦، ١٠٨) (القاسمي، دون تاريخ، ٤٢٢/١-٤٢٣).

اما الماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م): فكان على رأس من كتبوا عن نظام الوزارة والنظام السياسي الاسلامي، وخصص لها في كتاب فصلاً مستقلاً، وقسمها على قسمين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، اما ما يخص وزارة التفويض فهي ان يستوزر الخليفة من يفوض اليه تدبير الامور برأيه، وامضاءها على اجتهاده (أبو الحسن، دون تاريخ، ٥)، ومما لا شك فيه ان منصب الوزارة دليل على مرونة مؤسسة الخلافة والحكم بصورة عامة، ان منصب الوزارة هو تلبية لحاجة المسلمين وتيسير احوالهم وشؤونهم، فأن مؤسسة الخلافة والحكم في الدولة العربية الاسلامية، التي لم تتخذ موقف الادارة المركزية في كل شاردة وواردة، واهم وزراء التفويض في الحضارة العربية الاسلامية الذي كان يلقب السلطان ايام الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)، وهو جعفر بن يحيى البرمكي^(*)، وذلك اشارة إلى عموم نظرة وقيامه الدولة (ابن خلدون، ١٩٨٨، ٢٩٧/١) ، ويأتي كذلك

نظام الملك (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) (***) في مقدمة هؤلاء الوزراء في الحضارة الاسلامية الشرقية، والمنصور بن ابي عامر (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠٣م) (***) في الحضارة الاسلامية الاندلسية.

واما وزارة التنفيذ فهي اقل شأنًا من وزارة التفويض، لأن النظر فيها مقصور على تدبير ورأي الخليفة، ويكون عمل الوزير هو تنفيذ اوامر الخليفة، ويمضي ما حكم، وينفذ عنه ما ذكره، ومعظم الوزراء في الدولة العربية الاسلامية على شاكلة هؤلاء، يقوم بتعيينهم الخلفاء، لتنفيذ ما يأمرهم في الامور العسكرية والمالية والاجتماعية (ابن خلدون، ١٩٨٨، ١/٢٩٤-٢٩٧).

أما في القرن السادس الهجري فقد ظهر مؤرخان اولهما الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) في كتاب سراج الملوك فضلاً عن الوزراء وصفاتهم وقد اوضح ذلك من خلال وصفه ان اهم ما يقيد الخلافة والملك من الوزير امران هما: ((علم ما كان يجله ويقوي عنده ما كان يعلمه)) (أبو بكر، ١٨٧٢، ٧٠)، وكذلك حذر الطرطوشي الامراء والخلفاء من ان يلي الوزارة لئيم لأن الوزير اللئيم اذا ارتفع انكر معارفه وجفا اقاربه، وتكبر على ذوي الفضل واستخف بالأشراف (الطرطوشي، دون تاريخ، ٧١).

ويورد الطرطوشي بما يؤكد وجهه نظره بواقعة حدثت بين عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك فيقول فيها: (لما اردا سليمان بن عبد الملك ان يتكبت يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج، قال له عمر بن عبد العزيز اسألك بالله يا امير المؤمنين ان لا تحي ذكر الحجاج بإستكتابك اياه) فقال له: (يا ابا حفص اني لم اجد عنده خيانة درهم ولا دينار)، قال عمر بن عبد العزيز: (اني اوجدك ما هو أعف منه في الدرهم والدينار)، قال سليمان ومن هو؟ قال: (ابليس ما مس درهماً ولا دينار، وقد اهلك هذا الخلق) (الطرطوشي، دون تاريخ، ٧١).

اما المؤرخ الثاني فهو الشيرازي (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م) وضع كتاب المنهج السلوك في سياسة الملوك، وضع فيه على غرار ما رأينا عند الماوردي اقسام الوزارة وقد اكد في كتابه على ضروري ان يتصف الوزير بعشر صفات واجبة التحقق وهي: الامانة والعلم والسن وصدق الحديث، والمسألة والقناعة، والذكاء وقوة التركيز والفطنة، وان يكون من اهل الكفاية، وان لا يكون من اهل الاهواء (ابن عبد الله، دون تاريخ، ٢٠٧-٢١٠).

لم يختلف القلعي عن المؤرخين الذين سبقوه في الكتابة عن الوزارة بل خصص قسم كبير من كتابه في الحكايات عن الوزراء والخلفاء والعمال والامراء الدالة على مناقبهم وارتفاع مراتبهم (القلعي، ١٩٨٥، ٢٥٣). واهتم اهتماماً كبيراً في هذا الموضوع لما لوجه نظره اهمية في مصير الأمة ووحدتها، قد يكون السبب في توجهه في هذا الكتاب للكتابة عن الخلفاء والوزراء ما شهده (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) من انقلابات وصراعات سياسية واقتصادية وما كان له تأثير كبير وانعكاس اثر على واقع الأمة وهو ضعف الخلافة العباسية ووصولها إلى

مرحلة الانهيار وتغييب دورها في سيطرة العناصر الاجنبية، والدليل على ذلك انه يقول: ((ينبغي على الملك اذا كان ذا رأي اصيل ان يستشير فيستشير، ويستمد ولا يستبد، فأن ثمرة المشورة احلى من العمل المشور)) (القلعي، ١٩٨٥، ١٨٢).

ان ما ذكره القلعي في كتابه تهذيب الرياسة لم يأتي من مجرد اهتمام عالم في جانب من الجوانب لأن سيطرة العناصر الاجنبية على مقدرات الدولة العربية الاسلامية كان العامل الاساسي لها هي ضعف الخليفة وجعله تابع لا متبوع، فيقول في هذا الجانب: ((واعلم ان الايدي بأصابعها والملوك بصنائعها وان وزير الملك هو إمنية وعينه وإذنه وكاتبه حاجبه ونطقه رسوله وخلقه نديمه وعقله مثله بهم تجتمع العمال وتستقيم الاعمال وتعمر البلدان ويقوي السلطان فأن استقاموا استقامت الامور واضطربوا اضطرب الجمهور)) (القلعي، ١٩٨٥، ١٣٨).

ان الاهتمام والتركيز على منصب الوزير في الدولة العربية الاسلامية لأن القلعي وغيره من مؤرخي العصر رأوه الامين والكاتب والحاجب والنديم للملك او السلطان او الخليفة فهو عين الخليفة التي يرى بها واذنه التي يسمع بها الحق والصواب من اجل الأمة فاذا صلح الوزير كان خير دليل للسلطان واذا فسد فسد الحكم واضطربت الامور كلها، قد تكون الاحداث التي بدأت من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري واستمرت إلى سقوط الخلافة والدولة العربية الاسلامية على ايدي المغول والصليبيين والمماليك والصراعات التي باتت تنخر في الأمة الاسلامية هي الدافع الاساسي والمحرك لقلوب وعقول وافئدة علماء الأمة الاسلامية، وخاصة ان هذه المدة شهدت صراعات بين الوزراء والعمال وكانوا نهاية للكثير من الدول العربية الاسلامية مثل الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩-١١٧١م) وغيرها، يقول القلعي في اهمية الوزير في باب اختيار الوزراء وما يجب ان يتحلوا من الصفات ((اعلم ان الملوك تحتاج إلى وزير)) (القلعي، ١٩٨٥، ١٣٤)، لأن الوزير ذا تأثير كبير وواضح في استقامت الحكم واعمار الدولة.

استمر المؤرخين في الكتابة عن الوزارة واهميتها بعد القلعي مما يؤكد اهميتها وتأثيرها على الدولة ففي القرن التاسع الهجري ابدع ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) في اظهار آليات الوزارة وتاريخها وتطورها في كل مرحلة من مراحل الحضارة الاسلامية إذ بدأ في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وانتهاءً بعصره ووقته، فيقول: ((ان الوزارة ارفع رتبهم يؤمذ في سائر دولة بني امية، فكان النظر للوزير عاماً في احوال المفاوضات والتدبر، وسائر امور المطالبات والحمايات، وما يتبعها في النظر في فرض العطاء وديوان الجند بالأهلية وغير ذلك)) (ابن خلدون، ١٩٨٨، ٢٩٦/١).

فهو عرض منصب الوزارة وتحليل سمو هذا المنصب من خلال بعض الروايات التاريخية وهذا دليل على عمق نظريته في المنظومة السياسية الإسلامية، وهو دليل على أهمية منصب الوزارة وافولها في تلك الدولة فتحدث منها في عهد الدولة الأموية، وإن رويته هذه الحضارية والسياسية للدولة الإسلامية، أصبحت فيما بعد علماً يطلق عليه (علم الاجتماع).

وقد حذا خطى ابن خلدون في المغرب المؤرخ ابن الأزرقي (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) في رؤيته السياسية ونظريته الاجتماعية، فقد خصص باباً عن الأفعال التي تقام بها صورة الملك ووجوده، ويجعل أهم ركنها في الدرجة الأولى تنصيب الوزير في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك يستدل على أهمية ذلك بالأدلة الشرعية والعقلية (الغزالي، دون تاريخ، ٣٥-٣٨) وكتابه بتقسيماته وتعريفاته كتب الفلاسفة والمنطقيين.

ب. منهجه في الكتابة التاريخية:

وجه القلعي كتابه إلى أطراف مجتمعية متعددة، فهو موجه للسلطين والوزراء والحكام والرعية، لذلك وجب عليه أن يسلك منهجاً في كتابه يتلائم مع الأطراف المتعددة، اتبع القلعي بادئ ذي بدء في منهجه المنهج المحكم أي منهج واضح المعالم سهل المأخذ قريب المقصد، يصل فيه الباحث أو القارئ إلى مبتغاه دون أدنى جهد، لأن القلعي توخى فيه تيسير الفائدة منه وجعلها تنتشر وتعم للجميع (القلعي، ١٩٨٥، ١٣٤).

يقول الخزرجي (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) في كتابه طراز اعلام الزمان في طبقات أعيان اليمن: ((وأكثر ما توجد مصنفاً في حضر موت وظفار وضواحيها، وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية، ولم ينتشر في تلك الناحية العلم عن أحد كما انتشر عنه، وأعيان فقهاء أصحابه وأصحاب أصحابه)) (أبي الحسن، ٢٠١٢، ٣٣٠).

توجه القلعي في الكتابة بمنهج يشمل العوام والخواص ولا يتحدد بفئة معينة من الناس، وذلك من خلال تخير مادته، وطريقة عرضها، وتيسير سبل البحث في مؤلفه، الأمر الذي جعل كتابه يكسب طابعاً جماهيرياً، ويستدل ذلك على أنه يحيط احاطة تامة ويمتلك موضوع كتابة ويمتلك عقلية الرجل المعلم الذي تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر، ويتميز بوضوح وجلاء فكرته بطريقة تؤدي إلى الإقناع والافهام من خلال اطلاعه الوافي على كل كتبه واستيعابه ومعرفة مفردات اللغة واساليبها ومقدرته الفائقة في توضيف الشواهد وحسن اختيارها واستخدامها (القلعي، ١٩٨٥، ١-٧٠).

يقول ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) في القلعي: ((ان الفقه الشافعي قد انتشر عن القلعي بحضر موت وظفار، وان الناس تسامعوا به في حضر موت وغيره، فحملوا عنه وقصده)) (شهاب الدين، ١٩٨٣، ٢٧٠).

مادة الكتاب وأهميتها:

حرص القلعي على عرض مادة كتابه بأسلوب واضح لا غرابة ولا غموض فيه، لتكون المادة العلمية التي يقدمها سهلة المطلب وقريبة المأخذ، لأن هدفه لم يكن خاصة الناس بل هدفه عامة الناس، لذلك يقول في مقدمة كتابه: ((فهذا الكتاب جمعت في تهذيب الرياسة وترتيب السياسة وجعلته على قسمين: الاول يشمل على انواع الابواب يحتوي على درر من نظام العظماء وغرر من كلام الحكماء مما ينتظم في سلك الحكم الواردة وينسبك في قالب الامثال الشاردة، يتضمن محاسن الاوصاف المحموده من ذوي الامر وذم اصدارها وما يجب استعماله او تركه من الامور التي يحمد متبعها عاقبة ايرادها واصرارها)) (القلعي، ١٩٨٥، ٧٢).

اما القسم الثاني فقد ذكر الخلفاء ووزرائهم وامرائهم وعمالهم مما يدل على غزارة فضلهم ونبيلهم وكمال مروءتهم وحسن سيرتهم، وما اشتغلت عليه طرائقهم وحوته خلائقهم من العدل والانصاف والاسعاف والبذل والعفو عند الاقتدار وسماع الموعدة من الصالحين وقبول النصيح من الناصحين مع ما اتصفوا به من آدب وعلم ووقار وفصاحة وحلم وسماحة وبراعة وشجاعة، فينصح بكلامه واشاراته العامة والخاصة باتخاذ الشخص الذي يحمل هذه الصفات اماماً ويرى انه ينتفع ويرتفع اذا ما اختاره واتبعه، ويصف من عمل بما شاكله رشد وحمد (القلعي، ١٩٨٥، ٧٢).

ومن خصائص منهجه التأليفي هي العناية بذكر مصادر كتابه وتوضيحها في البحث وحسن استخدامها وهذه المسألة تشكل احدى مرتكزات المنهج التأليفي عند العرب ابتداء من (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) وليس انفراد بها القلعي وحده (روزنثال، ١٩٨٣، ١٧-١٩).

فمن الحقائق الثابتة في الحياة الفكرية والعلمية عند العرب، ان المصدر الذي يمثل الاساس فيما نقل عن العرب من المعارف والعلوم مصدرها هي الرواية الشفوية، وقد عنا فيها عناية فائقة تمثلت في اختتامهم البالغ بإسناد كل خبر إلى رواية، وكل نص إلى منشئه وكل قول إلى قائله واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد عصر التدوين وقادهم ذلك فيما بعد إلى ايراد السند وذكر المصدر إلى توخي الضبط وتحري الدقة ودفعهم إلى التلمذة على يد شيوخ وائمة العلم (الأسدي، ٢٠١٨، ٤٦-٤٨).

تكمن اهمية كتاب القلعي كونه موجهاً إلى السلطة العليا المتنفة بأمر الرعية ليكون لهم مرشداً ودليلاً وكان يرى ان صلاح الأمة بحاكمها فان كل افعالهم الدينية والدينية لها تأثيراً كبير عليهم، فنلاحظ ان نصوص القلعي كانت تحمل في طياتها النصيحة إلى الصفات الحميدة

الفاضلة، وبالتالي فإن رؤيته لم تكن محصورة في زاوية واحدة، بل كان يرى ان كلامه اذا كان موجه للجهة العليا الحاكمة للبلاد فإنه بالتالي يدعوا عامة الشعب إلى السمع والطاعة للحاكم العادل (القلعي، ١٩٨٥، ٢٢٠-٢٣٠).

يذكر في كتابه عن مدح الاستشارة وذم الاستبداد بالرأي قوله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، (وشاورهم في الامر) (سورة آل عمران: ١٥٩) (القلعي، ١٩٨٥، ١٧٥) وهي دعوة حقيقة ان لا يستبد الحاكم برأيه وان الاستشارة تضيف له الكثير من القرارات التي تخدم الرعية، ولذلك فهو يؤكد في القسم الثاني من كتابه عن حكايات الخلفاء والعمال والوزراء ومناقبتهم وارتقاء مراتبهم ويبدأ بالذكر معاوية بن ابي سفيان لقرب عهده ثم من بعده على تعاقب ازمنتهم وترتيب وجودهم (القلعي، ١٩٨٥، ٢٥٣)، فهو يعطي لنا في كتابه انموذجاً عن الكتاب الذين استغلوا امكانيتهم العلمية للإسهام في توجيه الحياة نحو الافضل وخدمة العلم، وخاصة في هذا الموضوع الحساس الحيوي الذي يخدم الأمة بأجمعها لأنها بصلاح متوليها تصلح (الجندي، ١٩٩٥، ج١/٤٥٤-٤٥٥).

والجدير والمميز في كتاب القلعي انه لم يشر إلى احد السلاطين او الخلفاء كما كان يفعل بعض المؤرخين كالفراي في كتابه البتر المسوك الذي وجه في عهد إلى السلطان السلجوقي، وانما قدم القلعي كتابه لله تعالى لخدمة المجتمع والنصح والارشاد، فهو عني إلى السير بالأقوال والافعال التي تدل على الاخلاق الحميدة والسؤدد والحكمة والحنكة السياسية (القلعي، ١٩٨٥، ٢٥٧-٣١٠).

سلك القلعي منهجاً يهدف إلى وعظ الحكام والملوك والولاة عن طريقة ذكية هي ذكر الامثال والحكم والنصائح والاخبار في فضائل الاخلاق التي تصلح بها حال الرعية ويستقيم بها الملك، كما يتعرض في كتابه إلى بيان خطر الاخلاق المذمومة واثرها في ضعف الملك وزواله، فضلاً عن انه لا يتوقف عند صفات الملوك والخلفاء والسلاطين بل يذكر ما يجب ان يتصف به اعوان السلطان من القادة والمقربين والوزراء، ويربط ذلك سلسلة جميلة بالإحسان إلى الجند وفرض ارزاقهم، وطريقة جباية الاموال وحسن التصرف والتدبير في الحروب ومكائدها (القلعي، ١٩٨٥، ١٣٩-٣٠٧)، وبذلك فهو يحرص ان يكون منهج كتابه واضح لا ابهام ولا غموض فيه ليسهل تناوله ويقرب مأخذه، ولذلك اسهب في شرح منهج كتابه في المقدمة بشكل واف في مقدمته (القلعي، ١٩٨٥، ٧١-٧٣)، فيخرج بذلك وكتابه بابهي واجمل صورته.

مصادر كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة:

لقد ورد في كتاب القلعي أسماء كثيرة من المصادر التي استقى منها معلوماته، لكن المصدر الأساسي الذي اعتمد على مرويّاته ونقل أخباره منه كتابين للثعالبي^(*) (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م)

الاول: كتاب المبهج للثعالبي الذي اعتمد عليه كثيرة في مجمل كتابه، إذ ذكر على سبيل المثال لا الحصر ((ومن كلام الثعالبي ولا يتخذ الملك الا عوان الا اعيان، والاخلاء الا اجلاء، والندماء الا كرماء)) (القلعي، ١٩٨٥، ١٢٤) (الثعالبي، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٧، الباب ٨، ورقة ٦) ، وعندما يذكر القلعي صفات العاملين لدى الملك وطريقة اختيارهم يذكر أيضاً: ((إذا تصفح الملك وجوه عماله وفحص الاصلح لأعماله فلا يقمعن اختياره الا من سبق له اختياره ولا يتوجهن اعتماده الا من تقدم اجتهاده ولا يكونن من ثقافة الا من يتقي الله حق تقاته)) (الثعالبي، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٧، الباب ١١، ورقة ٨)، وعندما يذكر عن الملك وعلاقته بمقاتليه وقادته وكتابه فإنه يذكر (القلعي، ١٩٨٥، ١٧١): ((امور الملك بأصحاب الذرائع والاقلام وارباب الدروع والاعلام فأولئك للكتب والآراء هؤلاء للكثائب والرايات للأعلاء)) (الثعالبي، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٧، الباب ١٤، ورقة ٩-١٠)، وفي الإشارة يذكر القلعي ومن كتاب المنهج: ((ينبغي للملك اذا كان ذا رأي اصيل ان يستشير فيستشير ويستمد ولا يستبد، فأن ثمرة المشورة احلى من العسل المشور)) (الثعالبي، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٧، الباب ١١، ورقة ٨)، ويذكر عن صفات الملك والكثير من الامور يذكرها في مواضع كثيرة من كتابه (القلعي، ١٩٨٥، ١١٧، ١٣٧، ١٤٢).

الثاني: اعتمد القلعي في كتابه على كتاب ثاني للثعالبي وهو كتاب الامثال فكان مصدراً لمرويّاته لكن ما يلفت النظر ان القلعي لا يستخدم اسم الثعالبي كما في كتابه الاول (المنهج) فيذكر دائماً قال بعض البلغاء، او قال بعض الحكماء بحد التعبير على الرغم ان المصدر الاول لكتابه هو كتاب الثعالبي، فيذكر عنه: ((إذا جلست على موائد الملوك، فصم عن الكلام، ولا تشره إلى الطعام، وإذا حدثك الملك فأستمع اليه واقبل بوجهك عليه ولا تعرض على فعله ولا تعارضه بمثله)) (الثعالبي، دون تاريخ، ١٧) ، ويستمد منه مرويّاته عن الاستشارة فيقول: وقال بعض البلغاء: ((من جهل المرء وسفه رأيه، ان يتصور في نفسه ويتقرر في حسه ان استشارة النصحاء واستمداد الآراء مما يزي به ويضع من قدره فيستبد بالتدبير ويعرض عن المشير)) (الثعالبي، دون تاريخ، ١٧) (القلعي، ١٩٨٥، ١٨٤)، ويذكر صفات من يختارهم الملك فيقول: ((ولا تستكف الا الكفاة النصحاء ولا تستبطن الا الأمانة النقات وإذا وليتهم امراً او استكفيتهم ثقلاً فأحسن الثقة بهم وأكد الحجة عليهم فاذا تبينت منهم عجزاً ورأيت منهم غدرأ فاستبدل بهم واستوف مالك عليهم ولا تقلد منهم احداً ولا تعتمد عليهم ابداً)) (الثعالبي، دون تاريخ، ١٧) (القلعي، ١٩٨٥، ١٤١)، ويذكر القلعي

نصوص من كتاب الامثال للثعالبي كثيرة ويخصه بذكر قال بعض الحكماء او قال بعض البلغاء، وقد يكون سبب ذلك ان المصدر الاساسي لكتاب القلعي هو كتاب المبهج للثعالبي فلا يريد ان يتكرر في اغلب الكتاب وكأنه قد نسخ واستقى معلماته جميعاً منه، فيكتفي في استخدام كتاب الثعالبي الثاني بإشارة فقط.

الثالث: اما المصدر الثالث الذي يعتمد عليه القلعي في كتابه تهذيب الرياسة هو الحريري^(*) في مقاماته لما لها اهمية وجمال وسبك لغوي ومعنى رائع يتطابق مع ما يريد القلعي ايصاله في كتابه فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر عن الصفات التي يجب ان يتحلى بها الراعي: ((وقال الحريري ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الاغترار بصوتك والادلال بدولتك فان الدولة ريح قلب والامرة برق خلب وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من ساءت رعيته فلا تكن ممن يذر الاخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبغيها)) (الحريري، ١٨٧٣، ٢٠٧) (القلعي، ١٩٨٥، ١٢٤) ويقول من موضع آخر: ((زيت الرعاة مقت السمة)) (الحريري، ١٨٧٣، ١٦٦) (القلعي، ١٩٨٥، ١٦٧)، ويذكر ايضاً في اماكن متفرقة من كتاب اشعار للحريري (القلعي، ١٩٨٥، ١٤٩).

الرابع: اما المصدر الرابع في كتاب القلعي فهو متنوع والخلفاء مختلف ما بين اسماء بعض الاعلام من المؤرخين والخلفاء والامراء والحكماء فيذكر مثلاً: ((وقال الحسن: والله ما تشاور قوم قط الا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم)) (القلعي، ١٩٨٥، ١٨٣)، واعتمد كثيراً على الشعراء بانتقاء ابيات كثيرة للشعراء بما يخدم فكرته في الكتاب (القلعي، ١٩٨٥، ١١، ١٤٥-١٤٦)، ان قراءة النصوص التي اعتمد عليها القلعي في كتابه سواء كانت من المصادر او اقوال الخلفاء والبلغاء والحكماء نجدها كانت من النصوص الرائعة التي تحمل في طياتها الكثير مما يخدم القضية التي يبحث بها ويريدها خدمة لمجتمع يحكمه راعٍ حقيقي يتزين بالعديد من الصفات التي تؤهله لذلك، وتقص في ذكر الكثير من النصوص التي تحذره في اختباره لخاصته والمقربين من الوزراء والامراء والمنتفذين بالدولة، ولا يكتفي بذلك بل يعود للتركيز على الرعية والصفات التي تجعل حياتهم كريمة مستقلة وطريقة تعاملهم مع الحاكم والمطالبة بحقوقهم فنسج ذلك كله ضمن تركيب نصوص جميلة ومتناسقة وهادفة تحمل الكثير لولي الامة، فقد جند فكره وقلمه لقضية تخدم الامة واعتمد ايضاً على الشعر بانتقاء ابيات كثيرة للشعراء بما يخدم الامة والمجتمع.

عصر القلعي وتأثيره:

شهد (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي) الكثير من التحديات التي تمثلت بظهور التيارات الدينية والسيطرة الاجنبية وصراعات ما بين الفرق الاسلامية من جهة اخرى، كل هذا

ظهر خلال الخلافة العباسية فضلاً عن التأثيرات التي امتدت إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فانعكست على الدولة العربية الاسلامية بكل نواحيها بجوانبها كافة من المشرق إلى المغرب (الحسني، ١٩٦٨، ٢١-٢٣).

واهم ما تعرضت له الدولة العربية الاسلامية من تقلبات هي ظهور دول وتحديات اجنبية، فظهرت الدولة الايوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١٠١٠-١١٠٧م)، فضلاً عن الحروب الصليبية (٥٨٨-٦٩٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٩١م) فقد كان مدة ضعف وانقسام، فضلاً عن ان هذه القرن شهد ظهور الغزو المغولي (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وظهور الدولة الخوارزمية (٤٩٠-٦٢٨م) في اقليم خوارزم وبلاد ما وراء النهر وخراسان وبلاد الجبل فحدثت صراعات سياسية بين السلاجقة (٣٧٥-٥٥٣هـ/ ٩٨٥-١٠٦١م) والخوارزمين فضلاً عن حركة الجهاد التي قامت بها الدولة الايوبية ضد الفرنجة الصليبيين.

هذه التغيرات والتحديات كانت بصورة عامة اما ما يخص الصراعات وتأثيراتها على القلعي فكانت عام (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) فقد استطاع عي بن مهدي (ت ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) ازال ملك بني نجاح وقد مر على قرية من سواحل مدينة زبيد، كان والده المهدي صالحاً ونشأ متأثراً بوالده متمسكاً بالإصلاح وكان قد حج وتعرف على العراقيين وصار عالماً واعظاً بالتفسير، وحافظاً وبدأ يتحدث ويتنبأ بالمستقبل ويصدق فمالت اليه القلوب واتسع امره واقام بالجبال إلى عام (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) (أبو الفداء، دون تاريخ، ٢/١٥٤).

بعد ذلك عاد إلى املاكه وعاد إلى حصن الشرف بالجبل لبطن من خلال وبدأ يحصل على اناس تناصره وتؤيده اطلق عليهم اسم الانصار وسمى من صعد معه من تهامه المهاجرين واختار نقيبين على طائفتين لا يخصه غيرهما وهما يوصلان كلام الطائفتين وجوائجهما اليه ويوصلان كلامه إلى الطائفتين (ابن الوردي، ١٩٩٦، ٥٩-٦٠)، وبذلك نلاحظ ان علي بن المهدي كان قد استخدم الجانب الديني للتأثير على الناس ولاستماله القلوب وتلينها لجانبه وكسب ودهم فأختار تسميات وتشبهات وصفات لا تمت لواقعه بصلة لمجرد لتحقيق هدفه وخاصة انه استخدم التنبؤات والكلام بالمستقبل واسماء توحى للعامة وكأنه شخص مقدس مختلف لتحقيق اهدافه.

مما يثبت ذلك ان هذه الصفات والاسماء والهالة التي وضعها لنفسه لم تكن تنطبق مع افعاله التي قام بها للوصول إلى هدفه فشن الغارات حتى اخلى البوادي وقطع القوافل وقطع الحرث واستقر في دار الملك بزييد في الرابعة عشر من عام (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) من يوم الجمعة وان كل ما قام بفعله علي بن المهدي لم يبقه في الملك الا شهرين واحد عشر يوماً،

ومات في شوال فملك اليمن بعده ابنه مهدي ثم ابنه عبد النبي بن المهدي، ثم بعد ذلك انتقلت إلى عبد النبي وبعده انتقلت إلى أخيه عبد الله ثم عادت إلى عبد النبي (اليافعي، ١٩٩٧، ٣/٣٢٢). استمر عبد النبي بن علي بن المهدي في الحكم باليمن واستمر على نهج أبيه في العمل بالمفاسد والمظلم فخرج الناس يستجدون إلى الخليفة العباسي الذي كتب بدوره إلى صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٦٧هـ / ١١٩٣م) بمصر الذي أرسل أخاه توران شاه (ت ٦٤٨هـ / ١٢٥٩م) فقضي علي عبد النبي بن علي بن مهدي وقتله وضم اليمن تحت حكم الأيوبي (ابن تغري بردي، دون تاريخ، ٣٣٠/٥).

كان حكم علي بن علي بن مهدي هو التكفير بالمعاصي والزندقة وقتل من يخالف اعتقاده من أهل اليمن واستباحة وطأ نسائهم واسترقاقهم وكان يقتل من يستمع إلى الغناء وشرب الخمر وكان حنفي المذهب وأصحابه يظنون فيه فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء (عليه السلام)، وكان ممن قتلهم علي بن مهدي بزييد الفقيه القاضي ابن أبي عقامة(*)، وولده وكان قاضياً وعالماً باليمن وكان شيخ القلعي، وكان هذا بسبب رحيل القلعي إلى بغداد ثم إلى مرباط واستقراره بها إلى أن وافاه الاجل اكمل مسيرة شيخه ومسيرته.

ان ما مر به القلعي من الاحداث وتهديد حياته وتنقله من بلد إلى ثاني كان سببه الحاكم الظالم الذي يستتر بغطاء الدين ينتهك حقوق الناس، مغير مجرى ومسير حياتهم، وان هذا التنقل كان سبب في اخفاء الكثير من المعلومات عن حياة القلعي اولاده، بيته وغيرها من التفاصيل، ان الحاكم الظالم كان السبب الرئيس في وضع كتابه بعد ان استقر في مرباط نقل فيه كل ما يمكن ان يخدم الرعية وينجيهم من ظلم الحاكم الظالم، وكل ما يخدم وينور عقل وطريق راعي الأمة ورسالته في حمل رسالة الأمة الموحدة تحت مظلة الحكم العادل المسلم المستتير بنور الاسلام والعدل والحق.

الخاتمة :

لقد حرص البحث على عرض مادة كتاب القلعي بأسلوب واضح لا غرابة ولا غموض فيه لتكون المادة العلمية التي تقدمها سهلة المطلب وقريبة المأخذ، لأن هدفه لم يكن خاصة الناس بل هدفه عامة الناس ولذلك أنه ذكر قد قسم كتابه إلى قسمين، الأول شمل أنواع الأبواب التي شملت درر من نظام العلماء وعرر من كلام الحكماء مما ينتظم في سلك الحكم الواردة وينسبك في قالب الأمثال الشاردة، ويتضمن محاسن الأوصاف المحموده من ذوي الأمر وذم إصرارها وما يجب استعماله أو تركه من الأمور التي يحمد متبعتها عاقبة إيرادها وإصرارها.

أما القسم الثاني، فقد ذكر الوزراء وأمرائهم وعمالهم مما بذل على غزارة فضلهم ونبلهم وكمال مروءتهم وحسن سيرتهم، وقد وضعنا مصادر كل قسم من الكتاب ليكون دليلاً للأخلاق والصفات الحميدة والنبيلة للراعي والرعية.

الهوامش

(*) مرياط: بالكسر ثم السكون وباء موحدة واخره طاء مهملة، وهي فرضة مدينة ظفار بينها وبين ضفار خمسة فراسخ، كان لها مرسى جيد كثر ذكره على افواه التجار، وهب مدينة منفردة بين حضر موت وعمان على ساحل البحر لها سلطان برايه ليس لأحد عليه طاعة واهلها عرب زيههم زي العرب، وقرب المدينة جبل على نحو ثلاثة ايام ينبت عليها شجر اللبان، (الحموي، ١٩٩٥: ٩٧/٥).

(*) وهي مدينة باليمن في موضعين احدهما قرب صنعاء وبها كان ملوك حمير وقيل ان ظفار هي صنعاء نفسها ولعله كان قديماً اما ظفار اليوم ليست الا مدينة على ساحل الهند بينها وبين مرياط خمسة فراسخ وقيل ان اللبان لا يوجد في الدنيا الا بجبال ظفار وان سكانها يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين فيسيل اللبان على الارض فيصنعونه وينقلونه إلى ضفار (الحموي، ١٩٩٥، ٦٠/٤).

(*) هو عبد الله بن محمد الشيخ العلامة قاضي المالكية بصفد ابن قاضي القضاة شمس الدين السبتي ولد عام (٨٤١هـ / ١٤٣٧م)، وتوفي بصفر يوم الاربعاء (٩١٠هـ / ١٥٠٤م). (الغزي، ١٩٩٧، ٢١٧/١).

(*) وهو المحدث اليمني الصنعاني الشافعي، تفقه بصفار، ورحل إلى العراق اصفهان وسمع من الكثير منهم، كان كثير التقيد والعزلة مجموع الفضائل توفي عام (٦٠٩هـ / ١٢١٢م). (اليافعي، ١٩٩٧: ١٦/٤).

(*) هو شهاب الدين بن محمد بن ابي الربيع ولد عام (٢١٨هـ / ٨٣٣م) وهو اديب ووزير الخليفة المعتصم بالله العباسي (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، له تصانيف كثيرة اهمها سلوك الممالك في تدبير الممالك (الزركلي، الاعلام، ٢٠٠٢، ٢٠٥/١).

(**) الحديث رواه بلفظ: "الأترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى، (مسلم، دون تاريخ، ١٨٧٠/٤).

(*) وهو وزير الخليفة هارون الرشيد وابن الوزير ولاء الخليفة الشام وغيره من البلاد وبعثه إلى دمشق، كان له نفاذ الامر وعلى القدر وجلالة المنزلة عند الرشيد انفرد بذلك ولم يشاركه فيها احد، كان طلق الوجه سمح الاخلاق، دامت وزارته سبعة عشر عام وقتل في صفر ليلة السبت وكان عمره سبعة وثلاثين عاماً، (ابن كثير، ١٩٨٦، ١٠/١٩٥-١٩٧).

(**) (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) وهو الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس ابو علي الطوسي الملقب بنظام الملك وزير السلطانين الب ارسلان ووالده ملك شاه حكم تسعة وعشرين عاماً لمولد بطوس وكان من اولاد الدهاقين وارباب الضياع بناحية بيهق كان مشغولاً بالفقه عالي الهمة مهتم بالحديث احسن مراعاة العلماء والاهتمام بالعلم وبناء المدارس والربط والمساجد والوقوف عليها شرط بالمدارس تدريس العربية وقراءة القرآن سميت المدارس التي قام ببناؤها المدارس النظامية وكانت في بغداد ونيسابور وغيرها، (ابن كثير، ٢٠٠٣، ١٢/١٤١-١٤٠).

(***) هو ابو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن ابي عامر المعافري، الملقب بالمنصور، حاجب الخليفة المؤيد هشام بن الحاكم وكان اصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها وقدم قرطبة

طالباً للعلم وكان له همة، دخل بلاد العدو ونال منهم توفي بمدينة سالم، وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه وأمر أن يدفن في كفنه، كان حسن السيرة، عادلاً له أعمال كثيرة، (ابن الاثير، ١٩٩٧، ٦٣٤/٧).

(*) وهو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، كان يلقب بجاحظ زمانه له العديد من المصنفات المهمة مثل المبهج وبيتمة الدهر وثمار القلوب وكتاب حل العقد وكتاب الشمس وكتاب اجناس التجنيس وكتاب من غاب عنه المؤانس ونسيم السحر ومنادمة الملوك والمتشابه لفظاً وخطاً والنوادر والبوادر ومئات الكتب الاخرى، وهو ولد في نيسابور وكان اديباً وشاعراً وصاحب تصانيف كثيرة. (الصفدي، ٢٠٠٠: ١٩/١٣٠).

(*) ولد بالبصرة عام اربعمائة ستة واربعون (٤٤٦ هـ) قرأ الأدب علي ابي الفضل بن محمد القصابي ثم قدم بغداد على ابي نصر بن الصباغ وقراء الفرائض والحساب وسمع الحديث بالبصرة قدم بغداد بعد الخمسمائة وحدث بها، يصرف حديثه عن شيوخه وبالمقامات كان حسن العبارة تميز بالفصاحة والبلاغة وحلاوة النظم وملاحظة النثر على طريقة لم يسبقه احد من قبله جمع المقامات الخمسين التي تلقاها الناس بالقبول وعقد على بلاغتها الحناجر توفي الثامن من رجب وغيره سبعون عام. (البغدادي، ١٩٩٩، ١٦٥/٢١).

(*) وهو القاضي عبد الله بن محمد بن علي بن ابي عقاقة، كان قاضي زبيد وحاكماً عن النبي، ولما سيطر ابن مهدي على اليمن قتل ولده وقتله وكان فاضلين عالمين، درس الفقه والأدب. (ابن تغريدي بردى، دون تاريخ، ٣٣٠/٥).

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

- (١) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي اكرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد اسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٩٧).
- (٢) ابن الأزرقي الغرناطي، شمس الدين محمد بن علي بن محمد الغرناطي (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م)، تحقيق: د.علي سامي النشار، وزارة الاعلام، ط١، (العراق، د.ت).
- (٣) البغدادي، ابو بكر احمد بن علي ثابت (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م): تاريخ بغداد، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٧، (بيروت، ١٩٩٩).
- (٤) ابن تغريدي بردى، ابو المحاسن يوسف عبد الله (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م): النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، (مصر، د.ت).
- (٥) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م): تقريب التهذيب، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٣).

- ٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شمادة، دار الفكر العربي، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨).
- ٧) الثعالبي، ابي منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م): مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣١٧)، آدب اضافة إلى نسخة ثانية متوفرة في تركيا عدد (٣٢٨)، الباب الثامن، الورقة (٦).
- ٨) الثعالبي، الامثال، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة الحلبي، (مصر، د.ت).
- ٩) الجندي، ابو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣١٣م): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الاكوع الحوالي، مكتبة الارشاد، ط٢، (صنعاء، ١٩٩٥).
- ١٠) الحريري، ابو محمد القاسم بن علي (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م): مقامك الحريري، مطبعة المعارف، (بيروت، ١٨٧٣).
- ١١) الحسن، ابو الحسن صدر الدين علي بن ناصر الدين (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م): زبدة التواريخ، تحقيق: محمد نور الدين، ط٢، دار اقرء، (بيروت، ١٩٨٦).
- ١٢) الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت، ١٩٩٥).
- ١٣) الحموي، معجم البلدان، ص ٩٧، ج ٥، الزركلي، خير الدين بن محمود: الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، (بيروت، ٢٠٠٢).
- ١٤) الخزرجي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م): طراز اعلام الزمان في طبقات اعيان اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبش الحضرمي، د. مصطفى عبد الكريم الخطيب، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، (جدة، ٢٠١٢).
- ١٥) ابن ابي الربيع، شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م): سلوك الممالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف احمد عبد الغني، دار الجنان، (دمشق، ١٩٩٦).
- ١٦) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو. دار هجر للطباعة والتوزيع، ط٢، (مصر، ١٩٩٢).
- ١٧) الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ / ١١٣م): المنهج السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، (الزرقاء، د.ت).

- ١٨) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك بن عبد الله (٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: تركي مصطفى واحمد الارناؤوط، دار احياء التراث، (بيروت، ٢٠٠٠).
- ١٩) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١هـ / ١٦٥٠م): الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٧).
- ٢٠) ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): المختصر من اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١.
- ٢١) ابن القاضي شبهة، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر (٨٥١هـ / ١٤٤٧م): طبقات الشافعية، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١١٨٦).
- ٢٢) القلعي، ابي عبد الله بن محمد بن علي (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: ابراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، ط١، (الاردن، ١٩٨٥).
- ٢٣) القلقشندي، احمد بن علي بن احمد الغزاري (٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).
- ٢٤) ابن كثير، ابو الفداء، اسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، (مصر، ٢٠٠٣).
- ٢٥) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): الاحكام السلطانية، دار الحديث، (القاهرة، د.ت).
- ٢٦) مسلم، ابو الحسن الحجاج القيشري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ١٨٧٠.
- ٢٧) ابن المقفع، ابو محمد عبد الله (ت ١٤٢هـ / ٧٥٩م): الآدب الصغير والآدب الكبير، دار صادر، (بيروت، د.ت).
- ٢٨) ابن الوردي، ابو الفوارس عمر بن المظفر بن محمد (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٦).
- ٢٩) ابن وهاس، ابو الحسن موفق الدين بن ابي بكر (٨١٢هـ / ١٤٠٩م): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولي الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الاكوع الحوالي، تنقيح محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، مركز الآداب، ط١، (بيروت، ١٩٨٣).

٣٠) اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبد الله بن اسعد بن علي (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يقبر من حوادث الزمان، تحقيق: منصور، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٧).

٣١) ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، ط٢، (بيروت، ١٩٩٥).

ثالثاً: المراجع

٣٢) الاسدي، سعاد مقداد ناجي: اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (دراسة تحليلية)، ط١، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، (بغداد، ٢٠١٨).

٣٣) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: د.صالح احمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٣).

٣٤) الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠٢).

٣٥) القاسمي، ظافر: نظام الحكم في الشريعة التاريخ الاسلامي، (بيروت، د.ت).

٣٦) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).